المعرفة حق طبيعي لكل إنسان

# المشكاة

مجلة سنوية

تصدر عن كلية التربية. قمينس / جامعة قاريونس

واقع التعليم الأساسي في الجماهيرية العظمى

موعد مع الثقافة

التركيب اللغوي في العمل الأدبي

الفهم القرائي المباشر وغير المباشر

القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة

ع الشوكة امصبي يا المجنون ( شعر )

العدد الخامس للعام 2009-2010

# القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة

نزَّل الله ـ عزَّ وجل ـ القرآن الكريم على نبيه وصفيه الخاتم ، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وليهديهم إلى صراط الله القويم ، ومنهجه الحكيم، قال الله ـ تعالى ـ

( الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ) [ إبراهيم : 1 - 2 ] .

فالقرآن الكريم كتاب هداية أي : إرشادٍ ، يرشد الناس إلى ما فيه الخير والسعادة في الدارين ، فمن استرشد به وتمسك بحبله ، واعتصم بركنه كان له هاد، وازداد هدى ، ووفق إلى الأقوم والأحسن ، وعاش في رضى وهناء .

وثمة سؤال يفرض نفسه ههنا ؛ مفاده : كيف يمكن للإنسان أن يهتدي بهذا الكتاب ، ويحقق السعادة المرجوة ؟

والإجابة عن هذا السؤال تكمن في القرآن نفسه ، فهو يفصح عن المنهج والطريقة الصحيحة لتحقيق ذلك الهدف النبيل ، والقصد السليم ، ولابد للإنسان حتى يحقق السعادة في الدارين ويكون من أهلها ، ويدخل في جماعة المفلحين الرابحين أن يحصل على أربعة أمور هي :

1 ـ أن يستمع إلى آيات الله بأُذن مصغية ، وقلب واعٍ ، وعقلٍ مستنير ، ونفْس هادئة ، وشخصيةٍ متجرّدة ، وأن يقرأ القرآن قراءة تدبرٍ وتفكر .

2 ـ أن يتزكى بالقرآن ، ويتخلق بأخلاقه ، وتتحول آياته إلى سلوك ، فيصير متأسياً بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي كان قرآناً يمشي على الأرض .

3 ـ أن يتعلم أحكام القرآن : أمرَه ونهيه ، حلالَه وحرامَه ، وهذا يستلزم أن يدرس تفسيره وعلومه التي تيسر فهمه ، وتعين على تدبره .

4 ـ أن يتعلم الحكمة التي هي السنة ، لأنها بيان الآيات وتفسيرها ، وتطبيق عملي صحيح لما فيها . ويكون ذلك بتعلم السنة : درايةً ورواية ، والعمل بها ، وجعلها مع القرآن منهج حياتنا ، والتفقه في الدين ، فنكون تبعاً للشرع استجابة لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " .

إن هذه الأمور الأربعة التي ذكرناها لابد منها جميعاً ، فهي سبب في تحقق الهداية التامة ، والسعادة المفقودة ، وإليها أشار القرآن في قول الحق ـ جل وعلا ـ : ( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [ الجمعة : 2 ] .

فلن يخرج الناس من الضلال المبين إلى الهدى واليقين والطمأنينة والسعادة إلا بتحقيق هذا المنهج والعمل بهذه الأركان الأربعة .

ثم إن هذا المنهج أوكل الله ـ عز وجل ـ مهمة تحقيقه وتعليمه إلى رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال: ( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ... ) ، فمهمة التلاوة والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة مسندة إلى المعلم الرسول النبيّ ، وقد أدى هذه المهمة على أكمل وجه ، وأتمّ صورة ، وحمَّل رسالة التبليغ من بعده إلى عدول أمته ، وصالحي مِلّته ، ومتبعي نحلته الذين هم العلماء العاملون المخلصون الصالحون .

وبناءً على هذا فإن تحقيق هدف نيل السعادة والفلاح والوصول إلى ذروة النجاح يعد عملية مهمة كبيرة ، وهي عملية تعليمية تربوية ــ بمصطلح العصر ـ وكل عملية تربوية تحتاج إلى مجموعة من الأسس والمرتكزات التي تعتمد عليها.

وأسس هذه العملية هي :

1 ـ الهدف الواضح ، ويتمثل هنا في : تحقيق السعادة في الدنيا بالتقدم وصنع الحضارة التي توفر للإنسان حاجاته المعنوية من طمأنينة واستقرار ، وأمنٍ وأمان ، وإشباع حاجاته المادية من مأكل ومشرب وملبس ....

2 ـ المنهج الصحيح القويم المناسب لطبيعة من يطبّق عليهم والملائم لقدراتهم ؛والمنهج هنا هو شرع الله : القرآن الكريم والسنة فهو منهج محكم لأنه من وضع الخبير العليم ( أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [ الملك : 15] .

3 ـ المعلِّم الناجح ، المخلص الصادق ، والقدوة الحسنة ، والأسوة الصالحة ، وقد تمثل ذلك في شخص الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلَّم وربّى جيل الصحابة أفضل الأجيال ، الذين حملوا لواء الإسلام إلى مشرق الأرض ومغربها ، فكانوا هادين مهديين ، فتحوا بعلمهم وأخلاقهم قلوب الناس ، فدخلوا في الدين أفواجاً .

وحتى ينجح هذا المنهج فلابد من رجال يسيرون على نهج رسولهم وأصحابه ويقتدون بهم في إخلاصهم وعملهم ، أولئك هم العلماء الربانيون، ولا يمكن أن يصلح المنهج بغير معلم قدوة .

4 ـ الطلاب الراغبون ، النبهاء المجدون الذين آمنوا بأهدافهم ويسعون إلى تحقيق رضى ربهم ، ويعملون من أجل الله ابتغاء وجهه ـ جلّ وعلا ـ وهم هنا كل الناس العقلاء، لأن كل إنسان عاقل يسعى إلى السعادة ويطلب الراحة والطمأنينة وينشد الأمن ، ويرغب في النجاح .

ويمكن أن نجعل لهذه العملية مخططاً ومنظومة توضيحية كالآتي :

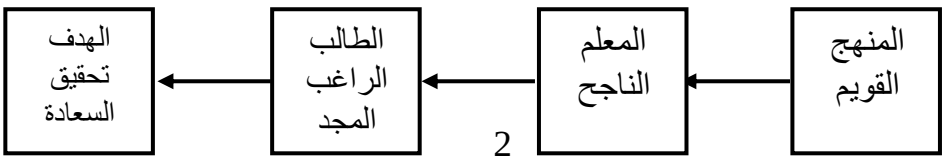

إن الإنسان إذا سار على هذا المنهج الذي رسمه الله ـ جل وعلا ـ وبينة في قرآنه ، وحقق تلك العناصر ، فإنه سيصبح الخليفة المرضي ، والعبد الرباني الذي يستحق التكريم والتمكين ، قال الله ـ تعالى ـ : ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا. . . ) [ النور : 55].

فإذا كان الأمر كذلك فتعالوا لنفهم : ما المقصود بالقرآن الموصوف بأنه كتاب هداية ومنهج حياة ؟ .

كلمة " قرآن " مصدر " قرأ " ، فيقال في اللغة قرَأَ قراءةً وقرآناً ، ومعنى القراءة : الجمع والضمُّ [1]، ومن هذا المعنى اللغوي كانت دلالة كلمة " قرآن " ، لأن القرآن هو مجموعة من الآيات جمع بعضها إلى بعض فكونت سورة ، وضمت السورة على السورة فكان القرآن ، وكذلك الأمر في قراءته ، فإن القارئ يضم الكلمات إلى بعضها .

والقرآن في المفهوم الاصطلاحي : كلام الله المعجز المنزل على النبيّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ باللفظي العربي المبين المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس المتعبد بتلاوته والمنقول بالتواتر .

هذا هو القرآن الذي يُعدُّ كتاب هداية ( يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) [المائدة : 17 - 18 ] .

وقد بيّنا في الأسطر السابقة كيفية تحقيق الهداية ، وطريقة الوصول إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، وخلاصة ذلك أن يُعمل بمنهج القرآن عملاً كاملاً ، فيأخذ الفرد والأمة بالأمور الأربعة التي بينها القرآن نفسه في سورة الجمعة .

إن الإنسان إذا طبق ذلك تطبيقاً صائباً ، وعمل به عملاً صحيحاً تحققت له النتيجة المرجوة ، والهدف المقصود .

والمتأمل لواقع الناس في زماننا هذا يجد أن أهل الإسلام اعتنوا بأمرٍ واحدٍ وأخذوا بربع ذلك المنهج ، فهم يعتنون بتلاوة القرآن وحفظه ـ وما أكثر الحافظين ـ وما أقل العاملين ، وقد ترك الناس منهج التزكية وهو ربع رئيس لهذا المنهج ، وتركوا تعلم الحكمة والكتاب التعلم الصحيح .

إن المنهج المتبع في زماننا اليوم منهج فيه نقص وخلل ؛ أما النقص فهو أخذنا بقاعدة واحدة من أربع قواعد ، وأمّا الخلل فراجع إلى أسلوب التعليم الذي يعتمد على الحفظ والتلقين ويهمل الفهم والفقه، والاستنتاج والتطبيق والتقويم .. ويهمل بناء الجوانب النفسية والمهارية السلوكية .

---

( 1 ) ابن منظور : لسان العرب ، مادة " قرأ " .

وبعد أن بيّنا كيف يكون القرآن كتاب هداية ، فإننا نطرح تصورنا حول كيفية جعل القرآن منهج حياة حتى تصير الحياة الدنيا دار سعادة واطمئنان وراحة وأمان ، وذلك يتحقق إذا سار الإنسان في حياته في نور ( وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ) ، واستضاء بضوء ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ) ، فبالأولى يهتدي ، وبالثانية يقتدي ، وبجماعهما يرشد ويسعد .

إنَّ تصورنا لكيفية جعل القرآن منهج حياة تصور نابع من ذات القرآن والسنة ، ومنطلق من سيرة سلف الأمة : الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، وأتباعهم ـ رضوان الله عليهم ـ فهو تصور نابع من : ( يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) ومن قول الرسول : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله "[1] . تصورٌ منطلق من مدرسة النبوة ، ومشكاة الرسالة ، مدرسة الإسلام ، التي كان الله مولاها ، والرسول محمدٌ أستاذها ومعلمها ، والقرآن الكريم منهجها ، والصحابة طلابها .

وجملة القول : إنَّ العمل بما في القرآن والسنة وجعلهما شريعة لنا في خاصة نفوسنا ، ومعاملاتنا مع الآخرين ، فنبني حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على قواعد أحكامه فيصير شعارنا : القرآن الكريم شريعة المجتمع واقعاً معاشاً ، والباعث على ذلك كون القرآن صالح لكل زمان ومكان ، فهو يرسم أسس الحياة السياسية على الشورى : ( وأمرهم شورى بينهم ) ، و يضع قاعدة في التعامل مع الآخر في قوله : ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ...) ويبنى الحياة الاقتصادية على التوزيع العادل لثروة المجتمع فيقول ـ سبحانه ـ : ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ) [ الحشر : ]

ويضع قاعدة للتعامل المالي : ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) . أما الحياة الاجتماعية فقد أولاها القرآن عناية كبيرة ، فعني بالأسرة وتكوينها ، وحدد أسس التعامل بين الناس وبنى ذلك كله على الرحمة والبر والتعاون ...والآيات كثيرة في ذلك يصعب سردها في مثل هذا المقال .

هكذا يظهر لنا أن القرآن يصلح منهجاً لتوفر صفات المنهج الناجح فيه :من عصمة من الزلل ، وتجرد من الهوى ، وشمول جوانب الحياة كلها ، وملاءمته لكل المجتمعات والأمكنة والأزمنة .

---

( [1] ) ينظر : الجامع الكبير ، السيوطي ، 1 / 5560 ، الحديث رقم ( 81 ) .